موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ندوات تلفزيونية

قناة الوطن

ندوات تلفزيونية – قناة الوطن - ندوات ليالي فبراير (01) : الشباب - يدير الحوار الدكتور محمد راتب النابلسي والشيخ نبيل العوضي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-01-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الشيخ نبيل :
دكتور أول مرة تشاركنا في أعيادنا الوطنية في الكويت، نحن عندنا فبراير مميز، عدة مناسبات؛ استقلال الكويت أولاً، وعيد التحرير، فصار الشهر كله أعياداً وطنية، وأنت أول مرة دكتور تشاركنا ماذا يمثل مثل هذا لك؟

النبي عليه الصلاة و السلام جاء بأقدم مفهوم للمواطنة والتعايش :

الدكتور راتب:
بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، الشيخ نبيل جزاك الله خيراً.
بادئ ذي بدء: عندما دخل النبي عليه الصلاة والسلام يثرب قال كلمة في أول اتفاق عقده بين أطراف يثرب، قال: أهل يثرب أمة واحدة. مفهوم المواطنة والتعايش جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، فالإنسان حينما ينتمي إلى وطن هناك تحديات مشتركة، و هناك مصالح مشتركة.
الشيخ نبيل :
عفواً دكتور، كان في المدينة مسلمون ويهود.
الدكتور راتب:
هناك أوس مسلمون، وخزرج مسلمون، وهناك أوس وثنيون، وخزرج وثنيون، وفيها يهود، وفيها نصارى، وفيها موالي وأعراب، وفيها مهاجرون، أول كلمة في الوثيقة: أهل يثرب أمة واحدة، سلمهم واحد، أقدم مفهوم للمواطنة والتعايش جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، والناس قد لا ينتبهون لهذه

الصيغة، أول سطر من اتفاقية أبرمها مع كل الأطراف، قال: أهل يثرب أمة واحدة، سلمهم واحد، وحربهم واحدة.

الشيخ نبيل :

ولهذا دكتور أنت شاركتنا في الأعياد الوطنية من هذا المنطلق، أنا عندي أسئلة كثيرة، دكتور كثير من الناس لا يعرف لماذا هو على هذه البسيطة؟ شكله، أعماله، لا يعرف حتى الهدف من حياته، ما هو السبب دكتور؟

الإنسان كائن متحرك و حركته إما أن تصح فيسلم أو لا تصح فيشقى :

الدكتور راتب:

السبب أن الإنسان كائن متحرك، يتحرك بدافع إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقائه كفرد، يتحرك بدافع إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع، يتحرك بدافع إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر، ثلاث حاجات تحرك الإنسان، فهو كائن متحرك، هذه الحركة إما أن تصح فيسلم ويسعد، أو ألا تصح فيشقى ويهلك.

الشيخ نبيل :

دكتور الحياة الغربية التي يعيشها الناس في الغرب حياة حلوة، وطبيعة حلوة، ومدينة، وقطارات، ونظام، ومعاشات، وقوة اقتصادية، والناس يعيشون في أرقى مستوى، أليست هذه الحياة هي الحياة الأكمل والأمثل؟

من ترك الأبد واكتفى بالدنيا يعد ذكياً لا عاقلاً :

الدكتور راتب:

ما كل ذكي بعاقل، قد يكون الإنسان في أعلى مستويات الذكاء، يعيش حياة ناعمة، ولكن حينما غفل عن سرّ وجوده، خُلق لجنة عرضها السموات والأرض، خلق لينعم بالقرب من الله إلى الأبد، فحينما ترك الأبد، وخسر الأبد، واكتفى بالدنيا، لا يعد عاقلاً يعد ذكياً، ما كل ذكي بعاقل، الذكاء محدود، أتقنا الدنيا، جعلنا فيها رفاهاً منقطع النظير، سخرنا كل شيء لمصالحنا، عشنا حياةً ناعمة، ولكن الله عز وجل خلقنا للأبد، لجنة عرضها السماوات والأرض.

الشيخ نبيل :

دكتور أنتم تمنعون على الناس كل شيء، كل شيء حرام، كل شيء لا يصح، والغرب يعيش أحلى حياة، كل شيء عنده مباح؟

ليس في الإسلام حرمان بل تنظيم :

الشيخ نبيل :

ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، ليس في الإسلام حرمان.

مرة ثانية: ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، لا يوجد حرمان ولكن في الإسلام تنظيم، أي هذه الشهوات لها قنوات نظيفة رائعة، مثل إنسان يتزوج، يقترن بأنثى تملأ عينه بجمالها، وبوفائها، وبحبها، تنجب له أولاداً يملؤون البيت فرحة، هذا المشروع أساسه شهوة أودعها الله في الإنسان، والشهوات التي أودعها الله في الإنسان جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها.

الشيخ نبيل :

أي هناك جنس مباح وجنس مشروع وجنس ممنوع.

من اتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه :

الدكتور راتب:

المؤمن يتزوج، وينام مع زوجته، ويقوم الليل، ويبكي في الصلاة، لأنه وفق منهج الله، أما أي علاقة شائنة أو علاقة بخلاف منهج الله، تحجبه عن الله عز وجل، النقطة الدقيقة جداً أن في الإسلام لا يوجد حرمان ولكن هناك تنظيماً، والدليل:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)

[سورة القصص : 50]

المعنى المخالف عند علماء الأصول، الذي يتبع هواه وفق هدى الله لا شيء عليه.

الشيخ نبيل :

دكتور الشباب اليوم بحالة من اليأس، كثير منهم يحس أنه غارق في المعاصي ولا يوجد مجال لنجاته، هو يغبط أهل الأيمان لكن بالنسبة له لا يوجد أمل، أنا انتهيت، أنا ميئوس مني.

الله عز وجل يفتح للناس باب التوبة على مصراعيه إلى يوم القيامة :

الدكتور راتب:

الجواب في القرآن الكريم:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

[سورة الزمر: 35]

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

[سورة النساء: 27]

النبي عليه الصلاة والسلام تكلم عن قصة الأعرابي الذي ركب ناقته ليقطع بها الصحراء، جلس ليستريح فاستيقظ فلم يجد الناقة، اختل توازنه من شدة الألم أيقن بالهلاك بكى وبكى حتى نام قليلاً، فلما أفاق رأى الناقة من شدة فرحه قال:

((اللهم أنا ربك وأنت عبدي))

[مسلم عن أنس بن مالك]

قال عليه الصلاة والسلام:

((لله أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته))

[متفق عليه]

فمعنى ذلك عندما يرجع الشاب إلى الله، ويصطلح معه، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله، بل إن الشاب الذي أسرف على نفسه في المعاصي والآثام الله ينتظره، بل إذا قال العبد: يا رب وهو راكع، يقول الله له: لبيك يا عبدي، فإذا قال: يا رب وهو ساجد، يقول الله له: لبيك يا عبدي، فإذا قال: يا رب وهو عاصٍ يقول الله له: لبيك، ثم لبيك، ثم لبيك.

الشيخ نبيل :

دكتور أنا أريد أن أتكلم عن فئة من الناس من كثرة انغماسهم بالشهوات، واعتمادهم على العقل فقط دون النقل والوحي، ودخولهم على بعض المواقع في الانترنيت، وجلوسهم مع بعض الناس، وقع بالإلحاد الذي ينفي حتى وجود الرب، أنا أريد أن أفتح معك هذا الموضوع بسبب أنك متخصص في موضع الإعجاز العلمي، وكيف لك كلام بأن الكون يدل على الله عز وجل، أحياناً الأم تقول: انظر إلى ولدي لا يؤمن بالله، أو ابنتي تسأل أسئلة تدل على أنها لا تؤمن بوجود الله عز وجل، بل بعضهم يتحدى أنه لا يوجد رب.

التفكر في آيات الله عز وجل أفضل طريق للإيمان به :

الدكتور راتب:

أحقر مخلوق في حياتنا البعوضة، البعوضة بعد أن اكتشف المجهر الإلكتروني، وجدوا أن في رأس البعوضة مئة عين، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً، وفي قلبها ثلاثة قلوب، قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان، وبطينان، ودسامان، وتملك البعوضة جهازاً لا تملكه الطائرات، تملك جهاز استقبال حراري، حساسيته واحد على ألف من الدرجة المئوية، بهذا الجهاز ترى الأشياء لا بأشكالها، ولا بأحجامها، ولا بألوانها، ولكن ترى الأشياء بحرارتها، تملك جهاز تحليل للدم، فما كل دم يناسبها، تملك جهاز تمييع للدم، وتملك جهاز تخدير، في خرطومها ست سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع وسكينان يلتئمان على شكل أنبوب لامتصاص الدم، وفي أرجل البعوضة مخالب و محاجم .

(إِنَّ اللَّهَ لَا يستحي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

[سورة البقرة: 26]

أحقر مخلوق في حياتنا البعوضة، وزنها واحد على ألف من الغرام.

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد

***

أقرب نجم ملتهب إلى الأرض أربع سنواتٍ ضوئية، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، فكم يقطع في الدقيقة؟ ثلاثمئة ألف ضرب ستين، كم يقطع في الساعة؟ ثلاثمئة ألف ضرب ستين ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع وعشرين، كم يقطع في العام؟ ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، كم يقطع في أربع سنوات؟ ضرب أربع، الابن الصغير بربع ساعة يعطيك كم هي المسافة بين الأرض وبين أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض، هذه المسافة لو أردنا أن نقطعها بمركبة أرضية، بسرعة مئة، نقسم على مئة كم ساعة، على أربع وعشرين كم يوم، على ثلاثمئة وخمسة وستين كم سنة، نحتاج إلى خمسين مليون عام بمركبةٍ أرضية كي نصل إلى أقرب نجمٍ ملتهبٍ إلى الأرض، الآن السؤال: متى نصل إلى نجم القطب الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية؟ متى نصل إلى المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية؟ متى نصل إلى أحدث نجم اكتشف؟ نحتاج إلى أربع وعشرين مليون سنة ضوئية، الأربع سنوات تحتاج إلى خمسين مليون عام بمركبةٍ أرضية فكيف أربع وعشرين مليون سنة ضوئية؟

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة: 75-76]

القرار الذي يتخذه الإنسان بشأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً عن إرادة :

الذي يريد أن يؤمن:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)

[سورة الذاريات: 20]

وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحد

***

انتقلنا من البعوضة أحقر مخلوق إلى الكون، فلذلك:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)

[سورة الذاريات: 20]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً عن إرادة و إيمان:

(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ)

[سورة الأنفال: 23]

فأي شاب يبحث عن الحقيقة والله زوال الكون أهون على الله من ألا يدله عليها، أطمئن الشباب.

الشيخ نبيل :

دكتور هذا الذي يقول: لا يوجد رب، أو عندهم مواقع في الانترنيت يسمونهم: الملحدون العرب، والملحدون الخليجيون، يفتخرون بهذا، هو لا يؤمن بوجود الرب.

الإلحاد موقف شكلي خارجي أما الإيمان فمغروز بأعماق الإنسان :

الدكتور راتب:

اسمع قوله تعالى:

(وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ *انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ)

[سورة الأنعام: 23-24]

والله بأعماق أعماق الملحد، مرة مجموعة خبراء بالاتحاد السوفيتي ركبوا طائرة، من دمشق إلى موسكو، دخلت في غيمة مكهربة، فكادت تسقط، فإذا بهؤلاء الذين أنكروا وجود الله يقولون: يا الله، يا الله، الإلحاد موقف شكلي خارجي، أما الإيمان فمغروز بأعماق الإنسان، الكون قرآن صامت، والقرآن كون ناطق، والنبي قرآن يمشي، شيخ نبيل بارك الله بك في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث

عن الكون، وكل آية أعظم من أختها، إذا شاب أراد أن يصل إلى الله والله الطريق سهل جداً، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنـــا فإنا منحنا بالرضا مـــن أحبنـــا

ولذ بحمانا واحتم بجنـــابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنـــا

وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغـل وأخلص لنا تلقى المسرة و الهنـــا

*** * ***

وسلِّم إلينا الأمر في كلِّ ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنـــا

*** * ***

فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنـــا ما قرأت كتابنـــا؟

أما تستحي منا ويكفيك ما جرى؟ أما تختشي من عتبنا يوم جمعنـا؟

أما آن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جـاء وعدنـــا؟

فـلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنـــا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جئتنـــا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـــا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قـــد جهلتنـــا

****

الشيخ نبيل :

دكتور، هناك شبهات كثيرة، والوقت قصير عندي، واقع المسلمين، صلواتهم في المساجد، جعلت لكثير من الناس ردة فعل سلبية عن الدين والإسلام، الغرب منظم، انظر المسلمين أكثر الناس فوضى، كذب، تعامل سيئ، غش، واقع بعيد جداً عن الإسلام في كثير من النواحي، الناس أصيبت بإحباط من واقع المسلمين وجعلتها ردة فعل ما تفسر ذلك؟

بطولة الإنسان أن يبحث عن الحقيقة من مرجعها :

الدكتور راتب:

هناك خطأ كبير أساسه أن الدين يُعرف من مرجعياته الأساسية، لا من أخطاء أتباعه، هذا خطأ استراتيجي، أنا حينما أكتشف حقيقة الدين من مسلم مقصر، من مسلم يخالف أحكام الدين، سوف أقع في خيبة أمل كبيرة جداً، فالبطولة أن أبحث عن الحقيقة من مرجعها، قال تعالى:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

[سورة العنكبوت: 69]

هذا الجهاد النفسي والله تولى هداية الخلق، قال تعالى:

(إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى)

[سورة الليل: 12]

والله أي أخ من أخواننا الشباب إذا أراد أن يصل إلى الحقيقة والله زوال الكون أهون على الله من ألا يصل إليها، لكن يحتاج إلى إرادة، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام، إذا كان صادراً عن إرادة و إيمان.

الشيخ نبيل :

دكتور كلامك جميل، والناس تشاهد منظر الدكتور ما شاء الله بلباسه، ببذلته، ومع هذا يجوب الأرض، أنا شاهدتك في استوكهولم في السويد، وما شاء الله عليك أبدعت في محاضراتك، ولما قرأت عنك ما شاء الله في دول كثيرة تدورها دكتور أنت سوف تطلع على المشاهدين من خلال تلفزيون الوطن في محاضرة تجمعك مع الشيخ محمد حسين يعقوب، وسوف أكون أنا ثالث ثلاثة متطفل عليكم.

الدكتور راتب:

أنت أستاذنا، والله أنت لك مقام كبير عندي.

الشيخ نبيل :

الساعة السابعة والنصف، يمكن أن يكون المشاهدون هنا منذ الساعة السابعة إن شاء الله، دكتور ما هو موضوع حديثك غداً؟

سلبيات المسلمين أعراض لمرض واحد هو ضعف الإيمان :

الدكتور راتب:

والله أنا خطر في بالي أن هناك مرضاً واسعاً جداً ومنتشراً، مرض وبائي اسمه ضعف الإيمان، النقطة الدقيقة أن كل سلبيات المسلمين ليست أمراضاً ولكنها أعراض لمرض واحد، والذي هو ضعف الإيمان، ضعف التوحيد، ضعف الصلة بالله، عفواً الطبيب الناجح إذا رأى طفلاً حرارته مرتفعة ليس طبيباً لو أعطاه خافض حرارة، الحرارة عرض لالتهاب عميق في الجسم، فما لم يعالج الطبيب الالتهاب لا ينجح في المعالجة، والآن هناك مشكلات لا تعد ولا تحصى في حياتنا ذكرت بعضها، ولكن الحقيقة هي أعراض لمرض واحد هو البعد عن الله عز وجل، أما القرب من الله:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)

[سورة فصلت: 30]

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)

[سورة الجاثية: 21]

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

[سورة القصص: 61]

((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ))

[الترمذي عن أنس]

فهذا الشاب بينه وبين الهدى، بينه وبين السعادة، بينه وبين الرقي، أن يقول: يا رب أريدك، أريد أن أتعرف عليك، أعنّي على نفسي يا رب، الله ينتظرنا، لو يعلم المعرضون انتظاري لهم، وشوقي إلى ترك معاصيهم، لتقطعت أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إليّ، هذه إرادتي بالمعرضين فكيف بالمقبلين؟ المؤمن حينما يصل إلى الله وصل إلى كل شيء، ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء.

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري، أهل مودتي، أهل شكري، أهل زيادتي، أهل معصيتي، لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة الوطن - ندوات ليالي فبراير (02) : أمراض القلوب حوار مع الشيخ نبيل العوضي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-02-2010

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الشيخ نبيل :

اليوم محور حديثنا عن هذا القلب، ومتى يمرض وأحياناً يموت؟ وكيف نعالج هذا القلب ليحيا ويطمئن؟ لنبدأ مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، فليتفضل.

الحبّ في الله عين التوحيد والحبّ مع الله عين الشرك :

الدكتور راتب:

بارك الله بكم، ونفع بكم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، ندعو فنقول: اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الأخوة الأحباب، الإنسان يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك، غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، إن لبى حاجات عقله، وجسمه، وقلبه معاً، تفوق، فإذا لبى واحدة تطرف، حاجات العقل العلم، هناك أوهام، هناك ترهات، هناك أباطيل، هناك ضلالات، هناك طروحات، تتناقض مع كتاب الله عز وجل، قال تعالى:

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

[سورة الشعراء:88-89]

ومن أجمل ما قرأت عن تفسير القلب السليم، أنه القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد غير الله، والقلب السليم هو القلب الذي لا يحتكم إلا لله، البطولة أن نغذي عقولنا بالحقائق اليقينية، والحق ما وافق الواقع، علاقة بين متغيرين، مقطوع بصحتها، يؤيدها الواقع، عليها دليل، لو ألغيت الدليل لكان هذا العلم تقليداً، وإن لم توافق الواقع كانت جهلاً، وإن لم تكن يقينية كانت شكاً، ووهماً، وظناً، الحق

دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط، خط العقل الصريح، وخط الفطرة السليمة، وخط الواقع الموضوعي، وخط النقل الصحيح، إذاً هو عقل يدرك يحتاج إلى غذاء، وقلب يحب يحتاج إلى حب، هناك حب يسمو بنا، وحب يهوي بنا، الحب الذي يسمو بنا أن تحب الله، ومن فروع محبة الله أن تحب أنبياءه جميعاً، أن تحب النبي عليه الصلاة والسلام، أن تحب صحابته جميعاً، أن تحب التابعين المؤمنين، أن تحب العلماء الصادقين الربانيين، أن تحب بيوت الله، أن تحب العمل الصالح، هذه كلها فروع عن محبة الله، فهذا الحب يسمو بك، وأن تحب زوجتك فرع من محبة الله، لأن هذا الحب وفق منهج الله، وأما الحب مع الله أن تحب جهة ليس على ما ينبغي لكن جاءك منها نفع، لذلك قال العلماء: الحب في الله عين التوحيد، والحب مع الله عين الشرك، فالعقل غذاؤه العلم، والقلب غذاؤه الحب، والجسم غذاؤه الطعام والشراب.

من لم يستقم على أمر الله فلن يقطف من ثمار الدين شيئاً :

أيها الأخوة الأحباب، على سطح الأرض ستة آلاف مليون ما منهم واحد إلا وهو حريص على سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده.

أيها الأخوة الكرام، للتقريب، التجارة فيها عشرات بل مئات بل آلاف النشاطات، لكن يمكن أن تضغط بكلمة واحدة إنها الربح، فإن لم تربح فلست تاجراً، والدين نشاطات لا تعد ولا تحصى، ولكن أصدقكم القول الدين يضغط بكلمة واحدة إنها الاستقامة، فإن لم تستقم لن تستطيع أن تقطف من ثمار الدين شيئاً، لذلك إن لم تستقم يغدو الدين ثقافة، عادات، تقاليد، يقال: فلان له أرضية دينية، خلفية إسلامية، اهتمامات إسلامية، طموحات دينية، مشاعر دينية، لكن ما لم نستقم على أمر الله ـ وأنا سامحوني في هذا اللقاء الطيب وأشكر من دعاني إلى هذا اللقاء الطيب ـ الحقيقة المُرّة أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح، إذا إنسان معه شيك بمئة ألف دينار مزيف، إن عرف أنه مزيف لصالحه، فإن ظنه صحيحاً يقع في إحباط ما بعده إحباط، الحقيقة المُرّة أفضل ألف مَرّة من الوهم المريح، فالدين يضغط بأكمله بكلمة واحدة هي الاستقامة.

من آثر الدنيا على الآخرة خسرهما معاً :

لكن بالمناسبة الإنسان حريص على سلامة وجوده، فلم لا يستقيم؟ أزمة أهل النار و هم في النار هي أزمة علم فقط، والدليل:

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

[سورة الملك: 10]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه علم فقد جهل، طالبُ العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً، هذه مقدمة وإن شاء الله نتابع الحديث بعد قليل.

الشيخ نبيل :

نحن المفروض أن نتواصل مع الدكتور محمد حسين يعقوب، لكن كما قلت لكم: سوف نقطع المحاضرة إلى عدة مقاطع لقضية فنية.

هناك مقدمة مهمة جداً قبل أن ندخل إلى القلب، حقيقة القلب هل يمرض أم لا يمرض؟ أحدنا إذا أصيب بحرارة، أو بصداع يذهب إلى طبيب، بعضنا إذا أصابه وجع بسيط يسافر إلى الخارج، وإن لم يكن فيه شيء يعمل فحصاً كاملاً، هل هو سليم؟ والجسم إذا مرض يموت وانتهى الأمر، أما القلب فمصيبة القلب الذي بين أضلعنا هذا إذا مرض سواء مرض شبهات، أو شهوات، ومات، الخسارة ليست في الدنيا بل الخسارة في الدنيا والآخرة.

أهلاً بكم من جديد في هذه الليلة الدينية، وهذه الحملة التي شعارها شعارنا: ريح قلبك بطاعة ربك، والآن ينتقل الميكروفون إلى الشيخ محمد حسين يعقوب، ليبدأ بدايته عن القلب، وحقيقة القلب، وأمراض القلب، حتى كل واحد جالس لا يظن أن الحديث موجه إلى غيره، دائماً اتهم نفسك، وحاول أن تصحح هذا القلب، لأنه لا ينفع يوم القيامة مال ولا بنون، تفضل سيدي محمد حسين يعقوب.

الإنسان في الأصل مخلوق من حفنة تراب ونفخة روح :

الشيخ محمد حسين يعقوب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم صلِّ على محمد النبي، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أخوتي في الله أنا أحبكم في الله، وأسأل الله عز وجل أن يجمعني وإياكم بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، اللهم اجعل عملنا كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئاً، أحبتي في الله أحب أن أشير في البداية إلى أن الدكتور محمد راتب النابلسي هو أكثر مني علماً بهذه المسألة، وتفضله في بداية الحديث يوجب عليّ أن أنسج على منوال الشيخ وأسير في خطه، أتسلم منه

الكلام في قضية هل القلب يمرض؟ والأمر ثابت بالكتاب، والسنة، وبالإجماع، وبالعقل الصحيح، فبالقرآن يقول الله عز وجل:

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)

فثبت صحيحاً أن القلب يمرض، وأن القلوب يدخلها المرض،

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)

في الظرفية، ثم في قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يصح بشواهده: "إن هذه القلوب لتصدأ"، ولا شك أن الصدأ يفسد الحديد بل يضيعه، فمن باب أولى أنه يفسد القلب ويقتله بلا شك، ثم أخوتي إذا جئنا إلى العقل فإن الإنسان في الأصل مخلوق من حفنة تراب ونفخة روح، حفنة التراب هي هذا الجسد المخلوق من تراب والروح من أمر ربي،

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

الشاهد أن هذا الجسد المخلوق من تراب، يجوع، يعطش، ويعرى، ويمرض، ويتعب، ويمل، فكذلك الروح تمر بهذه الأمراض قليلها وكثيرها، هذا الجسد حين يجوع، أو يعطش، أو يمرض، أو يعرى، يكتسب كل مقوماته من الأرض التي خلق منها، فأكله من الأرض، وشربه من الأرض، ولباسه من الأرض، وراحته على الأرض، ومتعته في الأرض، لأنه من الأرض وإليها يعود:

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)

فكذلك هذه الروح تتعب، وتمرض، وتكل، وتعرى، وتعطش، ولذلك تحتاج أيضاً أن تأكل، أن تتغذى، أن تشرب، أن ترتوي، أن تكسى، ولكن كما أن الجسد يستقي مراده وما ينفعه من الأرض التي خلق منها، فكذلك تعود الروح إلى الرب الذي أمر بنفخها سبحانه وتعالى، فتستقي كل ذلك من أمره، فلذلك تجد كثيراً من الناس حين يكون جسده مستريحاً فجسده منعماً، جسدها كما ذكر الشيخ نبيل مستريحة على سريرها، تتمتع بالذهب والفضة، والطعام والشراب، وفاخر المسكن، وفاخر المركب، ولكنها معذبة تريد أن تنتحر، لأن المعذب فيها روحها لا جسدها، رغم أنها منعمة الجسد بالظاهر إلا أن باطنها معذب، ثم إنها هي تبحث عن راحة هذا الجسد دائماً ولا تلتفت إلى راحة تلك الروح.

الأمراض التي نراها ونسمع عنها أمراض قلبية سببها فقدان الروح لغذائها :

كثير ممن ينتحرون أو يفكرون بالانتحار، كثير من الأمراض التي نراها في عصرنا من الاكتئاب، والأرق، والهم، والحزن، وغير ذلك من الأمراض التي نراها ونسمع عنها من العقد النفسية، أصلها أمراض قلبية، سببها فقدان هذه الروح لغذائها، هذه الروح حينما تفتقد الغذاء فتعطش فتصرخ وتقول:

اسقوني، وهو لا يدري ما الذي يصرخ داخله، حينما تصرخ هذه الروح وتقول: أطعموني في داخله صراخ، وكثيراً ما يشكو فيقول: أشعر أنني مخنوق، أشعر أن في صدري ضيقاً، ماذا تحتاج؟ يقول: لا أدري، أطباء القلوب يدرون، أنه يحتاج نعيم، سجدة يقول فيها: يا رب، يحتاج إلى سعادة، آية من كلام الله عز وجل، يتأملها فيطوف فيها في ملكوت آخر، غير عذاب هذه الأراضين، إنها قضية تحتاج إلى وقفة حقيقة واقعية، والسؤال هل القلب يمرض؟ الجواب بالطبع نعم، أنا لا أدري في صالة التزلج هل يصلون على النبي؟ صلى الله على محمد، كلما سمعت اسم النبي عليه الصلاة والسلام فصلِّ عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخطأ طريق الجنة من سمع اسمي ولم يصلِّ عليّ"، وقال أيضاً:

((...تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا))

[متفق عليه عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ]

أمراض القلوب تجتمع في أربع كلمات؛ دنيا وغفلة وشهوة وهفوة :

أخي تأمل معي قلباً أسوداً، مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا، تأمل معي قلباً أسوداً مظلماً كيف يكون عقل صاحبه؟ واللب جزء من القلب بلا شك، تأمل قلباً أسوداً ماذا يفيض على حياة صاحبه إلا السواد، ماذا يفيض إلا الاكتئاب، وسبب هذا القلب نكتة ثم نكتة، فتنة ثم فتنة، اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، هذا القلب الذي نكتت فيه نكتة سوداء ما هذه النكت؟ إنها الأمراض، الفتن:

((...تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا))

[متفق عليه عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ]

أو عوداً، عوداً، مرة بعد مرة، تعرض على القلب فتنة النساء فإن أشربها، فتنة المال فإن أشربها، فتنة الجاه والشهرة فإن أشربها، فتنة المظاهر والملبس والمسكن والموقع الاجتماعي فإن أشربها، أشرب هذه الفتنة وتأمل قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((... فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا))

شبه القلب بالإسفنجة، وللأسف أقول: إن القلوب الإسفنجية كثرت في عصرنا، التي تتشرب كل شيء، وتمتص كل شيء، ثم تفرز أسوأ شيء في هذا العصر، مع الانفتاح الإعلامي، والغزو الفكري الغربي، تشبعت القلوب بفهم الحياة بالطريقة الغربية، شربت القلوب هذه الفتنة، أشربتها، فلما أشربت القلوب الفتنة فهمت السعادة خطأً، فهمت الحياة فهماً خاطئاً، لم تفهم الحياة بقال الله، قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وإنما فهمت الحياة من منظور غربي، قوامه المال والشهوة، فصارت هذه أمراض القلوب، أمراض القلوب تجتمع في أربع كلمات، دنيا، غفلة، شهوة، هفوة.

الشيخ نبيل :

أحسنت، لأن الشيخ إعلامي، لكن سوف يكون بعد الفاصل الدكتور محمد راتب النابلسي ، ثم الشيخ محمد حسين يعقوب.

أهلاً بكم من جديد، نتحدث حول القلب، أحياناً حينما نقرأ قصص السلف في سلامة قلوبهم ورقة القلوب، الواحد يسأل نفسه: لماذا هذا الزمان ليس فيه أناس مثل أولئك؟ البشر بشر والخلق واحد، المشكلة أن هناك فتناً دعت عمر بن عبد العزيز الذي يملك الدنيا وما فيها في يوم من الأيام كان في خطبة جمعة، يقرأ أحد السور، فلما وصل إلى قوله جل وعلا" فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى" سكت في الصلاة، فرده الذي خلفه، هو يتذكر ولكنه لا يستطيع أن يكمل، لأن القلب سليم، لأن القلب معافى، لأنه لا يوجد ران على القلب مثلما هو موجود عند الكثيرين الآن، فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى، لم يستطع أن يكمل حتى قطع السورة وبدأ بسورة أخرى، القلب لم يتحمل هذه الآيات، هي التي جعلت عمر بن الخطاب عندما يسمع:" إن عذاب ربك لواقع"، يسمعها سماعاً يسقط على الفراش شهراً، يظنه الناس مريض جسد، لا، قلبه تعب من هذه الآية، هذه القلوب السليمة، كيف نصل إلى هذه المستويات؟ تفضل دكتور راتب.

أخطاء القلوب أخطاء كبيرة جداً :

الدكتور راتب:

هناك حقيقة خطيرة هي أن هناك خطأ في الميزان وهناك خطأ في الوزن، الخطأ في السلوك خطأ في الوزن لا يتكرر، لكن الخطأ في الميزان لا يصحح، أمراض القلب خطأ في الميزان، الميزان غير الدقيق لو استعملته مليون مرة النتائج كلها خاطئة، أما الخطأ في الوزن مرة واحدة، فالخطأ في الوزن لا يتكرر، لكن الخطأ في الميزان لا يصحح، أخطاء الجوارح خطأ في الوزن، أما أخطاء القلوب فخطأ في الميزان، لذلك أخطاء القلوب كبيرة جداً لأن القلب هو الميزان، فإذا كان مغلوطاً أو منحرفاً جاءت الأوزان غير صحيحة.

الصغائر والكبائر :

أيها الأخوة، عندنا موضوع متعلق بأمراض القلب موضوع الصغائر والكبائر، أتمنى أن يكون واضحاً لديكم، النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع استغفار))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة وعبد الله بن عباس]

كيف؟ طريق عرضه يقدر بستين متراً، عن يمينه واد سحيق وعن شماله واد سحيق، الصغيرة حرفت المقود سنتمتراً واحداً، فإذا ثبت هذا السنتمتر انتهى بك المطاف إلى الوادي، الكبيرة حرفته تسعين درجة، لكن بما أن الطريق عريض بإمكانك أن ترجعه كما كان، فالكبيرة مع أنها كبيرة قد تتوب منها، أما الصغيرة إذا أصررت عليها، وجعلتها جزءاً من حياتك فهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

من أيقن أن علم الله يطوله وأن قدرته تطوله لا يعصيه :

ولكن :

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

[سورة الطلاق: 12]

قد يسأل أحدكم لماذا اختار الله عز وجل من أسمائه اسمين؛ العلم والقدرة؟ تماماً تركب مركبة، والإشارة حمراء، أنت مواطن عادي، والشرطي واقف، وقانون السير صارم، لا يمكن أن تخالف، لأن واضع قانون السير علمه يطولك، وقدرته تطولك، إذاً لن تعصيه مادمت عاقلاً، ليقينك أن علم واضع قانون السير يطولك من خلال هذا الشرطي، أو هذه الآلة، وأن قدرتك تطولك بحجز المركبة، ودفع مبلغ كبير جداً، فأنت مع إنسان قوي، من بني جلدتك، لا يمكن أن تعصيه إذا أيقنت أن علمه يطولك، وقدرته تطوله، فكيف يعصي الإنسان الواحد الديان؟

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

[سورة الطلاق: 12]

علمه يطولك، وقدرته تطولك، والإنسان إذا أيقن أن علم الله يطوله وأن قدرته تطوله لا يعصيه.

الشيخ نبيل :

دكتور نحن نشاهد كثيراً من الذين يقعون في المعاصي يتحجج بحجج، وبعضها يكون صحيح ظاهرها، أنا أقع في بعض الذنوب الصغيرة أحسن من غيري، حتى الذي يقع في بعض الكبائر يقول: أنا مسلم، بل يمكن الذي لا يعمل عملاً بالدين يقول: أنا على الأقل أحسن من الذي لا يؤمن بالله.

الله عز وجل عندما خلق الإنسان أعطاه منهجاً ليسير عليه ليدخل الجنة :

الدكتور راتب:

هذا ميزان من الصعب أن نعتمده إذا اعتمدناه أصبحنا في مؤخرة الركب، لأن الإنسان عندما يكون طالباً لا يوازن نفسه مع طالب تارك المدرسة نهائياً، يوازن نفسه مع طالب آخر، لذلك الله عز وجل قال في آيات كثيرة، الله عز وجل ينتظرنا أن نكون معه:

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

[سورة الملك: 2]

بالآية ملمح خطير جداً لا ليبلوكم من الناجح أو الراسب، لا، الأصل أن تنجحوا جميعاً ولكن الابتلاء من هو الأحسن، فالله عندما خلقنا أعطانا المنهج، العقل، الفطرة، الكون، الشهوة، الحرية، أعطانا كيف نفوز بجنة الآخرة، أما عندما يأتي الامتحان فيكون للتفاوت في مراتب الجنة، أما أن نطرح الطرح الآخر هذا بخلاف منهج الله عز وجل .

الشيخ نبيل :

أنا أريد أن أحول الحديث للشيخ محمد حسين يعقوب الذي يريد فقط النجاة، اليوم الواحد يقول: أنا أريد الجنة فقط، ولا تطالبني بغير هذا من أعمال.

للعمل علتان علة دافعة وعلة غائية :

الشيخ محمد حسين يعقوب:

كما ذكر الشيخ أن الطالب الذي يقيس نفسه بطالب فاشل يفشل، نراها كثيراً بأبنائنا، الطالب الذي يريد أن ينجح وانتهى يرسب، الذي يريد أن يحصل على مئة بالمئة يحصل على تسعين أو ثمانين، الذي يريد أن يحصل على تسعين يحصل على ستين، والذي يريد أن ينجح فقط لابدّ من أن يرسب، ولذلك أريد أن أضيف إلى كلام الشيخ عن الخطأ في الوزن والميزان، أننا ينبغي أن نفهم القضية فهماً صحيحاً، وهذه تتعلق بالذي يريد أن ينجو وانتهى، كيف ينجو؟

أخوتي القضية هل المشكلة في مرض القلب ضعف الإيمان أم ضعف القلب؟ ينبغي أن نفرق بينهما، ضعف الإيمان أي ضعف العمل، أي الكل يصلي، ولكن صلاته ضعيفة، ويصوم وصيامه ضعيف، ويقوم الليل وقيامه ضعيف، ويقرأ القرآن الكريم وقراءته ضعيفة، مواظب على الحسنات حريص عليها لكنه ضعيف، أما إذا مرض بضعف القلب ضعف العضلة نفسها، ضعف الدافع، الذي يقول: أنجو فقط، أنتم تريدون الفردوس الأعلى أنا أنجو فقط، أنا أريد أن أبقى وراء باب الجنة بشبر، هذا الذي عنده هذا

الضعف، محال، نحن نؤمن أنه من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، ولكن من هذا الذي يزحزح؟ الذي يرتكب الفواحش، ثم يقول: أنا أدخل الجنة بشبر، من أين تأتيك الجنة وأنت ترتكب الفواحش؟ كما قال ابن الجوزية عليه رحمة الله: يقول أحدهم حسنة وسيئة، ويلك من كيسك تنفق، السيئة تحبط الحسنة التي فعلتها، ثم تقول: أريد أن أدخل الجنة وانتهى، بدون قيام الليل، وبدون ذكر، هذه قصتها ضعف العضلة، ضعف القلب نفسه، ضعف العلة الدافعة، للعمل علتان علة دافعة وعلة غائية، الغاية الجنة، لكن العلة الدافعة التي تدفعه للعمل هذه أمر آخر.

الشيخ نبيل :

نحن الآن أمراض القلب ما شاهدنا أعراضها، متى يكتشف الإنسان بنفسه أن قلبه مريض؟ متى قد يكون الواحد على السنة ولحيته ما شاء الله أو الإزار أو السواك يطبق بعض مظاهر السنة لكن لا يدري أن قلبه مليء بالأمراض وقد يحتقر بعض الناس يقول: هذا أين وأنا أين؟ أنا الحين طبقت أشياء كثيرة، ولا يعلم أنه ـ وهذا كلام ابن القيم وابن تيمية والكثير ـ من هذا الباب تجده بعيداً عن بعض السيئات وبعض الذنوب، ولسانه لمرض في قلبه يفري في الأحياء والأموات، وهو لا يدري، أريد أن أبدأ مع الدكتور محمد راتب النابلسي يعطينا بعض الأعراض ويشخص لنا المرض، بعض الناس لا يعرف حتى في الأمراض الدنيوية، يقول: مرض فلان له أعراض كذا وكذا، مصاب بذبحة صدرية، احتمال جلطة، يخاف من الجلطة وعنده مرض يودي به إلى جهنم و هو لا يشعر، هذا سوف نبدأ به بعد الفاصل.

لازلنا في القلب وهو أخطر عضو في الجسد، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ويوم القيامة عليه الفوز أو الخسران، احرص على ما سوف يذكره الشيخان في علامات مرض القلب، ومظاهر مرض القلب، وكيفية علاج هذا الأمراض، ولا عليك إذا رأيت أن الجسد سليم مئة بالمئة، إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فاحرص على هذا الأمر، تفضل دكتور راتب.

القلب القاسي

أبعد قلب عن الله عز وجل :

الدكتور راتب:

بارك الله بك، أيها الأخوة الكرام، الأب ما الذي يسعده؟ أن يلتف أولاده حوله، أن ينصاعوا لأمره، الزوج ماذا يسعده؟ أن تكون زوجته معه، والعلاقة سلسة بينهما، مدير المدرسة ماذا يسعده؟ أن يلتف

المدرسون حوله، صاحب المتجر، مدير المؤسسة، رئيس الجامعة، أي منصب قيادي في الأرض يسعده أن يلتف من حوله حوله، أن يحبونه، لماذا تكون المشكلات في أي مجتمع في أي كيان؟ قال تعالى:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

[سورة آل عمران: 159]

أي يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك من خلال اتصالك بنا كنت ليناً معهم، فلما كنت ليناً معهم التفوا حولك، شيء طبيعي المؤمن المتصل بالله بقلبه رحمة، التف أولاده حوله، معلم التف طلابه حوله، مرشد التف أخوانه حوله، قائد التف أخوانه حوله:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران: 159]

ما دام القلب منقطعاً عن الله فيه قسوة، أبعد قلب عن الله القلب القاسي:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

[سورة آل عمران: 159]

أي لو كنت منقطعاً عنا لامتلأ القلب قسوة، فانعكست القسوة غلظة، فانفضوا من حولك، والله معادلة رياضية، اتصال رحمة لين التفاف، انقطاع قسوة غلظة انفضاض، هذه الآية يحتاجه الأب، المعلم، صاحب المتجر، مدير المؤسسة، مدير المدرسة، رئيس الجامعة، أي منصب قيادي بحاجة ما دام القلب متصلاً هناك لين، ورحمة، والرحمة شعور داخلي، ينعكس ليناً في المعاملة، هذا اللين يجلب الناس حولك، المقطوع عن الله يمتلئ القلب قسوة، تنعكس القسوة غلظة، ينفض الناس من حوله.

من ذكر الله أدى واجب العبودية ومن ذكره الله منحه الحكمة و الأمن و الرضا :

النقطة الدقيقة، قال تعالى:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

قال علماء التفسير: "ذكر الله أكبر ما في الصلاة" والدليل:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه:14]

لكن الإمام ابن عباس قال: "ذكر الله لك أيها المصلي وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له"، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية، لكنه إن ذكرك منحك الحكمة، لكنه إن ذكرك منحك الرضا، إن ذكرك منحك الأمن":

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

[سورة الأنعام: 81]

إن ذكرك منحك السعادة، إن ذكرك منحك التوفيق، هذه ثمار الصلاة:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه:14]

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت: 45]

ذكر الله لك وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له، إذا ذكرك منحك الأمن، الحكمة، القوة، الرضا، التوفيق، السعادة، السكينة، تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء.

الشيخ نبيل :

أحد الصحابة عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ سأله أحد التابعين سؤالاً غريباً قال له: هل كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال، أي لا يغرنك ظاهرهم، تجد إنساناً أشعث أغبر ويضحك ويعيش عادياً لكن في قلبه أمثال الجبال من الإيمان، الدنيا، الغفلة، الشهوة، الهفوة، أربع كلمات تخوف وهي يمكن أن تكون من أسباب أمراض القلب بدأها الشيخ محمد حسين يعقوب، لكن كيف تُمرض القلب؟ يتفضل الشيخ محمد حسين يعقوب، يشرحها.

الدنيا أول مرض يصيب القلب :

الشيخ محمد حسين يعقوب:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، أما بعد: أخوتي أنا أحبكم في الله، حرصكم على هذا الدرس وامتلاء هذا المدرج سعادة لنا، وكأنه طلب لمحبة الله، أخوتي القلوب تمرض وتتفاوت الأمراض كأمراض الأجساد، كما أن في الأجساد ما بين صداع ومغص إلى سرطنات وجلطات وكذلك في القلوب، اللهم طهر قلوبنا، اللهم اشفِ قلوبنا، الله ثبت على الإيمان قلوبنا، أول مرض يصيب القلب الدنيا، اللهم إنا نعوذ بك من الدنيا، فتنة الدنيا فتنة شديدة، وقال علماؤنا: من ادعى محبة الله ثم مال بقلبه إلى الدنيا فهو كذاب، الله عز وجل في ثلاث آيات من القرآن لا رابع لها من جنسها خيرنا بين الدنيا وبين الآخرة، إما دنيا وإما آخره، قال تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ*أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

[سورة هود: 15]

هو تخيير لك وخيار فاختر لنفسك يا عبد الله، قال سبحانه وتعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا)

[سورة الإسراء: 18]

والآية الثالثة في قوله تعالى:

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ)

[سورة الشورى: 20]

اختر لنفسك كما قال الله عز وجل :

(أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

[سورة فصلت: 40]

حبّ الدنيا يؤدي إلى الغفلة وعلاجه ذكر الله وتعلق القلب بالآخرة :

وقد يقول قائل: هل معنى قولك أن الدنيا مرض أن نلبس المرقعات ونجلس ونتسول من الناس؟ لا أقصد ذلك البتة، بل أقول: أن تطلب الدنيا للآخرة، أن تُسخر الدنيا للآخرة، لا بأس أن تملك ملايين وبلايين، وفوق ذلك املكها ولا تملكك، استعملها ولا تستعملك، عبّدها ولا تعبدها، الدنيا، سيارة جميلة فارهة، مهما تكن ولكن لماذا؟ لأخلو فيها مع الله، أستطيع أن أذكر الله، وأشكر نعمة الله، لذلك هذه الدنيا قد تصير مرضاً، يمرض إنسان بعشق الجنة، وثمة فرق بين العشق المحرم وبين الحب لله، الذي تراه في هذه الدنيا من العشق المحرم والذي يسمونه في زماننا حباً، وهذا ليس بحب، إنما هو العشق المحرم، الحب لا يطلق إلا على حبك لله، وما ينفصل عنه ويتصل به، حب الله وحب كل شيء يحبه الله لله، فحب الزوجة لله، وحبّ الوالدين لله، وحبّ أي عمل تؤديه حبه لله، فإذا كان هذا فهو حب وإلا فهو عشق، المرض الأول الدنيا وعلاجه أن تسخر الدنيا لله، وألا يتعلق قلبك بها ولا بشهواتها، ولاشك أن حبّ الدنيا يؤدي إلى المرض الثاني والذي هو الغفلة، قال الملك جلّ جلاله:

(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ)

[سورة الأعراف: 179]

ذرأنا أي أنشأنا وأوجدنا وخلقنا:

(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ)

[سورة الأعراف: 179]

أخوتي صحّ عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ))

[أبو داود عن أبي الدرداء]

حب الدنيا عمى للقلوب وصمم للآذان، أخوتي علاج هذه الغفلة ذكر الله وتعلق القلب بالآخرة.

الشيخ نبيل :

سوف نرجع مرة ثانية للشيخ ليكمل الفقرتين الثانيتين، ما علاقة الشهوة والهفوة بأمراض القلوب؟ ونتابع مع الدكتور محمد راتب النابلسي كي نطلع من هذا الباب ندخل إلى أمراض القلوب بين الناس، من حقد، وحسد، وغل، هذه كلها بعض أمراض القلوب المنتشرة في الساحة، لكن كل هذه الأمراض سوف نتواصل بعد الفاصل.

أهلاً بكم من جديد، دخل رجل على النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة جلوس، قال: يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة، دخل رجل تأبط نعليه، ولحيته تتقاطر من ماء الوضوء، وما هو معروف عند الصحابة، إنسان عادي، ثلاثة أيام قبل أن يدخل النبي يعطيه هذه البشارة، والنبي لا ينطق عن الهوى، أحد الصحابة تبعه، عرف بيته، زاره، بقي عنده أياماً، ليكتشف ما هي العبادة التي أوصلته إلى جنة وهو على الأرض يمشي؟ لم يكن كثير صلاة أكثر من الناس، ولا صيام غير الناس، يصلي كالناس، ويصوم كالناس، لكن فيه علة أدخلته الجنة، قال: أبيت أنام ولا أجد في قلبي على أحد من المسلمين شيئاً، قلب صاف، قلب سليم، لا هو حقود ولا حسود، ولا تجده في الصف الأول يصلي، ولكن ـ والعياذ بالله ـ يحسد الناس كلها، تجد لباسه لا يوجد أجمل منه، لكن قلبه بالحقد والكراهية أقذر منه لا يوجد، تجده في بعض القضايا يتبع السنة لكن لسانه وقلبه مليء بالحقد والكراهية للمسلمين، هذا قلب مريض، وإن ظنّ صاحبه أنه سليم، دكتور راتب في هذا الباب وهذا النوع من الأمراض ماذا تتكلم عنه؟

الهلع والضعف والعجلة نقاط ثلاثة في أصل خلق الإنسان :

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الله عز وجل يقول:

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

[سورة المعارج: 19-22]

هذه نقطة ضعف في أصل خلق الإنسان لصالحه، خلق هلوعاً، خلق عجولاً، وضعيفاً، لو أن الله خلقه قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه، فيسعد بافتقاره، على كلٍّ نقاط ثلاثة في أصل خلق الإنسان الهلع، والضعف، والعجلة، نأخذ الهلع:

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

[سورة المعارج: 19-22]

معنى ذلك الذي اتصل بالله يشفى قلبه من الهلع والجزع.

معافاة المصلي من أمراض القلوب :

أيها الأخوة الكرام، أنا مضطر إلى حقيقة منطقية، قال المناطقة: الصفة قيد، أي: قل إنسان، هذه كلمة تغطي ستة آلاف مليون، يكفي أن أضيف صفة للإنسان أقول: إنسان مسلم، من ستة آلاف مليون إلى مليار ونصف، الربع، ضاقت الدائرة، قلت: إنسان مسلم عربي أربعمئة مليون، إنسان مسلم عربي مثقف ضاقت أكثر، قل: طبيب، قل: طبيب قلب، قل: طبيب قلب جراح، كلما أضفت صفة ضاقت الدائرة، اسمعوا الآية:

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا*إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا*وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ)

[سورة المعارج: 22-35]

لذلك ورد في الأثر النبوي: ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكفّ شهواته عن محارمي، ولم يصر على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس، على أن أجعل الجهالة له حلماً، والظلمة نوراً، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، ويقسم عليّ فأبره، أكلأه بقربي، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها، ولا يتغير حالها.

أيها الأخوة، دقق في الكتل الكبيرة في الدين من أجل شفاء القلوب:

(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

[سورة المعارج: 19-22]

المصلي معافى من أمراض القلوب.

القلب السليم هو القلب الذي تجتمع فيه محبة الله وتعظيمه والخوف منه :

الصلاة التي أرادها الله لذلك: "ليس كل مصلٍّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي"، أي الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي ـ أي بيضوي ـ وهذا الشكل له قطر أصغر وقطر أطول، الآن الأرض تتحرك من القطر الطويل إلى القطر الأصغر، حينما تقل المسافة بينها وبين الشمس

بحسب قانون الجاذبية تزداد الجاذبية، احتمال أن تنجذب الأرض إلى الشمس، فإذا جُذبت إليها تبخرت في ثانية واحدة، والأرض مادة صلبة غير عاقلة، الله عز وجل يرفع سرعة الأرض، فتنشأ قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، فتبقى في مسارها:

(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)

[سورة فاطر : 41]

يد من؟ لمن تواضع لعظمتي، يا رب أيّ عبادك أحبّ إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحبّ عبادي إليّ تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحدٍ بسوء، أحبني وأحبّ من أحبني وحببني إلى خلقه، قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي، أي ذكرهم بآلائي كي يعظموني، وذكرهم ببلائي كي يخافوني، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني.

إذاً لابدّ من أن يجتمع في قلب المؤمن ليكون معافى من أمراض القلوب تعظيم لله من خلال آياته الكونية، ومحبة له من خلال نعمه العظيمة، وخوف منه من خلال البلاء، القلب السليم هو القلب الذي تجتمع فيه محبة الله وتعظيمه والخوف منه.

عبادة القلب هي عبادة الإخلاص :

"إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكفّ شهواته عن محارمي، استقام، ولم يصر على معصيتي ـ كان سريع التوبة ـ وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي ـ إخلاص ـ".

شيء عجيب، هذا الحديث فيه كليات الدين، التفكر في خلق السماوات والأرض، استقامة على أمر الله، التوبة المستمرة، العمل الصالح، الإخلاص، فإذا فعلنا هذا شفيت قلوبنا من أمراضها والله، لذلك عبادة القلب هي عبادة الإخلاص:

(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)

[سورة الزمر: 2]

الإخلاص يعني القلب.

الشيخ نبيل :

أحد الرجال أراد أن يفعل الفاحشة مع امرأة وكان هو سيد القصر، وهذه المرأة خادمة ومتزوجة، أمر زوجها أن يذهب إلى بلد بعيد واختلى لوحده مع هذه المرأة، قال لها: أغلقي أبواب القصر، فسألها هل أغلقت الأبواب؟ قالت: نعم إلا باباً واحداً، قال: أي باب؟ قالت: الباب الذي بيننا وبين الله، هذا لا يغلق، فارتجف الرجل وتاب إلى الله، ما الفرق بين المرأة والرجل؟ المرأة تراقب الله، الرجل نسي، غفل،

أخذته الشهوة، الآن مع الشيخ سوف نرجع مرة ثانية للشيخ ليكمل الفقرتين الثانيتين الشهوة والهفوة، الآن مع محمد حسين يعقوب، أريد أن يكمل لنا، هو بدأ بالدنيا والغفلة، وهما مرضان من أمراض القلوب، بقيت الشهوة والهفوة.

الدنيا غفلة والغفلة تجر إلى الشهوة :

الشيخ محمد حسين يعقوب:

المحمود هو الله جلّ جلاله، والمصلى والمسلم عليه محمد وآله، وبعد: أستطرد في قضية هذه الأمراض ولكن أخشى أن ينتهي الوقت قبل أن أسأل أحدكم، أن أسأل كلاً منكم، ماذا تشعر في قلبك؟ كيف حال قلوبكم مع الله؟ اللهم أصلح قلوبنا، اللهم طهر قلوبنا، اللهم نور قلوبنا، إننا بحاجة إلى هذه الوقفة، أن يتوقف كل منا ليسأل كيف حال قلبي؟ هل تستشعر أن في قلبك نوراً؟ هل تستشعر أنه نزل على قلبك فيض رحمة أم أنك تشعر بقسوة قلبك وظلمته؟ اللهم إننا نسألك أن تصلح قلوبنا.

أخوتي حين ذكرنا الدنيا وهذه هي الشر الذي يتنافس فيه أهل الدنيا، أما أهل الآخرة الذين تعلقت قلوبهم بالآخرة فلا يتنافسون على الدنيا، ولا يلقون لها بالاً، بل شعارهم قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((مالي وللدنيا! إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها))

[أخرجه الترمذي في الزهد وابن ماجه وأحمد والسيوطي]

شعارهم فيها نصيحة نبيهم حين قال:

((كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ))

[البخاري عن ابن عمر]

اعبروها ولا تعمروها، هذه معبرة قنطرة وليست للإقامة، الدنيا غفلة، وهذه الدنيا تجر إلى الغفلة، والغفلة تجر إلى الشهوة.

الشيخ نبيل :

أنا أعتذر من الشيخ محمد حسين يعقوب، ما أدري دخل علينا الفاصل، أكمل حديثك وهذه آخر فقرة.

أخطر شيء في المعاصي أن يستصغرها الإنسان و يحتقرها :

الشيخ محمد حسين يعقوب:

أخوتي إن أخطر شيء في هذه المعاصي أن تستصغرها وتحتقرها، أخوتي الوقت ضيق جداً وأنا الحمد لله الشاهد، المعاصي نوعان؛ معاصي قلوب، ومعاصي جوارح، ومعاصي القلوب هي الأخطر بلا شك، بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق))

[البخاري عن أبي ذر رضي الله]

هذه معاصي الجوارح الزنا والسرقة، وقال :

((لا يدْخُلُ الجنة مَنّ كان في قلبه مثقالُ حبَّة من كِبْر))

[أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

اللهم احفظ قلوبنا، معاصي القلوب خطر، ذرة كِبر تمنع دخول الجنة، والزنا والسرقة لا تمنع دخول الجنة إذا صحّ التوحيد، فلذلك أقول: إن التوحيد هو علاج كل هذه الأمراض، أن تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبك، لا إله إلا الله أحرق لسيئات الموحدين من الشرك لحسنات المشركين، هذا التوحيد يحرق السيئات ويمحوها، ويطهر القلوب، تعلق القلب بالله، هذا القلب كلما امتلأ من إرادة، هم، وحب، طرد هماً، وإرادة، وحباً، لذلك أقول: إنك إذا امتلأ قلبك بالتوحيد طرد كل ما سواه.

هذه الهفوات، هفوات: معاصٍ صغيرة قد تسميها تافهة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر، لذلك كلما هان الذنب عندك كلما عَظُم عند الله، وكلما عظم الذنب عندك هان عند الله.

((إنَّكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني : غفرتُ لك على ما كانَ مِنكَ، ولا أبالِي، يا ابنَ آدمَ، لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثم استَغْفَرتَني غفَرْتُ لك، ولا أبالي))

[الترمذي عن أنس]

الله يحب أن يغفر، يحب أن يعفو، يحب أن يرحم، لكن سبحانه وتعالى لا يضع الأمر إلا عند من يستحقه:

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ)

[سورة الأعراف: 156]

الرحمة واسعة جداً، وسعت السماوات والأرض وما بينهما، لكن لمن؟

سرعة التوبة علاج الهفوات :

لذلك هذه الهفوة علاجها سرعة التوبة، سرعة الأوبة:

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)

[سورة النساء: 17]

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا)

[سورة آل عمران: 135]

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)

[سورة الأعراف: 201]

هكذا هم سريعو العودة، و هناك فرق بين من يخطئ وبين من يتعمد، بين من يتوب وبين من يستمر، ثمة فرّق بين من يقع في خطأ غير مقصود وبين من يمكر للمعصية، أختم بهذه: إنسان عنده ذنبان أو ثلاثة كل يوم يقع بهم، ينظر إلى امرأة، دخل فنظر إلى صورة، إلى آخره، جالس على الانترنت لمصلحة وقعت أمامه صورة، هذا يخطئ بخلاف من برمج تلفزيونه على قنوات محرمة، قنوات الزنا والفجور، فرق بين رجل وقعت عينه عرضاً فقال: أستغفر الله وتألم، وبين من يجلس لينتظر الوقت الذي يرى فيه الحرام، لمن برمج كومبيوتره، أو حفظ على هارد ديسكه هذه القذارات والقاذورات والمحرمات يفعلها ويعاودها مرة بعد مرة ثمة فرق، قال الملك جلّ جلاله:

(أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ)

[سورة النحل: 45]

مكروا السيئات تختلف عن الذين فعلوا السيئات، الذين ارتكبوا السيئات، الذين وقعوا في السيئات، يختلفون عن الذين يمكرون السيئات، أحبكم في الله وأسأل الله أن يتوب عليّ وعليكم.

الشيخ نبيل :

شكراً جزيلاً للشيخ محمد حسين يعقوب، وأعتذر عن التقطيعات التي صارت، والخاتمة للدكتور محمد راتب أوجه له سؤالاً في موضوع القلوب .

زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين :

الدكتور راتب:

أيها الأخوة، نحن في أمس الحاجة إلى الوعي، عندنا في الشام شيخ يلقي درساً، حدثهم عن الفساد الاجتماعي بشكل مسهب، تأتي الفتاة الساعة الثانية بعد منتصف الليل أين كانت؟ عند الحبيب، فكل الحاضرين صلوا على الحبيب، نحتاج إلى وعي لذلك قال تعالى:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النور : 55]

بربكم الحقيقة المرة هل نحن مستخلفون في الأرض؟ لا والله:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً)

[سورة النور : 55]

ونحن أيضاً لسنا ممكنين، ونحن أيضاً لسنا آمنين، أتكلم عن العالم الإسلامي بأكمله، لسنا مستخلفين، ولسنا ممكنين، ولسنا آمنين، مع أن وعود الله قطعية الحدوث، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، أين الخلل؟ قال تعالى:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

[سورة مريم: 59]

وقد لقينا ذلك الغي، أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها بل يعني تفريغها من مضمونها .

من طبق سنة النبي الكريم في حياته فهو في مأمن من عذاب الله عز وجل :

فلذلك أقول لكم بملء ما أؤمن: مستحيل وألف ألف مستحيل أن نطبق سنة النبي في حياتنا و أن نقلق، أو يأتينا ما لا يرضينا، بدليل:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

[سورة الأنفال: 33]

الآية في حياة النبي لها معنى، لكن بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى لها معنى آخر، أي يا محمد ما دامت سنتك مطبقة في حياتهم فهم في مأمن من عذاب الله، فالحل أن نعود إلى الله عز وجل، إذا رجع العبد إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطلح مع الله.

رجل هداه الله إلى الإسلام، زار بريطانيا، والتقى بالجالية الإسلامية وقال: أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين، لا لأنهم أقوياء، ولكن لأن خلاص العالم بهم، ولكن بشرط ـ ما سأقوله بعد قليل ورقات العمل ـ بشرط أن يحسنوا فهم دينهم، ويحسنوا تطبيقه، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر.

أن نحسن فهم هذا الدين، وأن نحسن التطبيق، وأن نحسن عرضه على الطرف الآخر، وإذا أردت كلاماً جامعاً مانعاً لحال العالم الإسلامي الآن أقول: هان أمر الله على المسلمين فهانوا على الله.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة الوطن - ندوات ليالي فبراير (03) : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - يديرالحوارالشيخ مشاري العنزي.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-02-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:
دكتور محمد راتب النابلسي كنت تتكلم عن كتابك "موسوعة الإعجاز العلمي"، وهناك "موسوعة أسماء الله الحسنى"، هما كتابان، أعتقد طبع عشرون طبعة كما سمعت منك، ما شاء الله ما السر انتشار هذا الكتاب؟ أنا حسب علمي أن أغلب الذين كانوا يسحبون من الموقع كان من موسوعة الأسماء الحسنى والإعجاز العلمي.

آيات الإعجاز تؤكد أن القرآن الكريم كلام خالق الأكوان :

الدكتور راتب:
السبب هو أن الله سبحانه وتعالى إذا أرسل رسولاً كيف يشهد أنه رسوله؟ الأنبياء السابقون آتاهم الله المعجزات الحسية، والمعجزة خرق لنواميس الكون، فكأن هذا الخرق للنواميس شهادة الله لهذا النبي الكريم أنه نبيه، أو رسوله، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهذا النبي الكريم لكل البشر أجمعين، إذاً لابد من أن تكون معجزته مستمرة، وكيف تكون مستمرة؟ إن كانت علمية، لذلك في القرآن الكريم آيات كثيرة تزيد عن مئة آية تؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن، كيف؟ هناك إشارات علمية في القرآن الكريم وهناك بحوث علمية الآن اكتشفت، آتي بمثال: حينما صعد رائد الفضاء إلى الفضاء الخارجي، وتجاوز طبقة الهواء و التي تقدر بخمسة و ستين ألف كيلو متر، صاح بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، لماذا؟ لأن في الهواء حالة فيزيائية اسمها انتثار الضوء، فحينما تسلط أشعة الشمس على الهواء، ذرات الهواء تعكسها إلى ذرات أخرى، ففي الأرض مكان فيه أشعة الشمس، ومكان فيه ضوء الشمس، لكن حينما تجاوزنا طبقة الهواء انعدم انتثار الضوء فأصبح الضوء ظالماً قاتماً، فصاح الفضائي بأعلى صوته: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً، هذه

الحادثة اكتشفت بعد ارتياد الفضاء الخارجي، تفتح القرآن الكريم الذي نزل على قلب النبي الكريم قبل ألف وأربعمئة عام فإذا فيه قوله تعالى:

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

[سورة الحجر]

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد تأكيداً قطعياً أنه لا يمكن أن تكون هذه الإشارات العلمية إلى قضايا علمية اكتشفت حديثاً لم تكن هذه القضايا معروفة من قبل، فكأن هذه الشهادة شهادة الله لهذا الكتاب الكريم أنه كتابه، والله عز وجل كيف شهد للأنبياء السابقين؟ بخرق النواميس، وهذه حالة صارخة جداً، لذلك آيات الإعجاز تؤكد أن القرآن كلام خالق الأكوان.

المذيع:

أنا هذا يقودني إلى سؤال دكتور، وأنا أسمع محاضراتك، و برامجك.

من شروط الإعجاز أن تكون القضية العلمية حقيقة ثابتة مقطوعاً بها :

الدكتور راتب:

لكن عفواً لابد من ملاحظة، الإعجاز إذا أتينا بمقولة علمية لم نتأكد من صحتها وربطناها بآية قرآنية قد تكون ظنية الدلالة، هذا الربط البسيط العفوي الغير الدقيق هذا يعد معولاً لهدم القرآن الكريم، لأن الطرف الآخر ينقض هذه المقولة العلمية، مقولة سميتها أنا، فإذا نقضها نقض معها الآية، فمن شروط الإعجاز أن تكون القضية العلمية حقيقة ثابتة مقطوعاً بها لا يختلف عليها اثنان في الأرض، وأن تكون الآية القرآنية قطعية الدلالة، وأن يكون الارتباط بينهما ارتباطاً تاماً وعفوياً، بتحقيق هذه الشروط تدخل هذه القضية في الإعجاز.

فالإعجاز كما أنه داعم كبير للإيمان يمكن أن يكون معولاً يأخذه الطرف الآخر لنقض هذا القرآن.

المذيع:

هذا يقودني دكتور سلمان أن نحن بحاجة إلى تخصص، يعجبني في كلام الدكتور كونه متخصصاً بالجانب هذا فيبدع ويبحر به، ألا تعتقد أن في أمتنا على الأقل في الزمن الحالي من هو بحاجة إلى التخصص -كلٌ يبدع في تخصصه-؟.

ينبغي على المسلمين اكتشاف العلوم المتعلقة بالإعجاز والوصول بها إلى مستوياتها العليا:

الدكتور سلمان:

أيضاً أثني على كلام الدكتور في مسألة عدم إقحام القضايا الظنية في القرآن الكريم، هذا معنى جميل، ومن قبل كان عدد من المفسرين كما يقال عن بعض الكتب يقال فيها كل شيء إلا التفسير، لأن هناك نظريات علمية، وأقوال، إلى آخره، فالاقتصار على الحقائق العلمية هذا معنى لطيف، وكذلك ما يتعلق بالقرآن أن تكون القضية إما قطعية كما ذكر الدكتور، أو على الأقل تكون ظاهرة الدلالة، لأنه لا يوجد مشكلة إذا كان هذا أحد المعاني المحتملة في القرآن الكريم لهذا المعنى، ما دامت الحقيقة ثابتة، الإشكال هل تدل الآية عليها أو لا تدل؟ المشكلة هي أحياناً في إقحام القرآن، مثلاً هناك إنسان كاتب:

(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ)

[سورة التكوير]

ذكر أن هذا يعبر عن حدائق الحيوانات الموجود الآن في العالم، مثلاً، هذا موجود وأنا قرأته لعالم مشهور، ما هي القيمة التي نضيفها نحن إلى القرآن الكريم عندما نقول: حصلت نبوءة بحشر الوحوش والحيوانات في سفاري أو في حديقة حيوانات وما أشبه ذلك؟ لا جديد فيه، ولا شيء معجز، وربما تجد من بعض كلام البلغاء والنحات والعوام أحياناً إشراقات من هذا القبيل، وإنما الإعجاز هو فعل يعجز البشر عنه، ولا يكون معلماً لهم بوجه من الوجوه، ثم يثبت - ألتقط من سؤالك إضافة أخرى إلى ما تقدم فيه أخي الدكتور محمد راتب في مسألة أنه مع أهمية الإعجاز- خلقاً كثيراً من الناس، وهناك أناس غير مسلمين دخلوا في الإسلام أو آمنوا بسبب إطلاعهم على جوانب من الإعجاز وخاصة خلق الإنسان، ولكن أنا أريد أن أقول ينبغي أن أدرك أن الأصل هو أن نكون نحن مشاركين على الأقل في اكتشاف هذه العلوم، وفي الوصول بها إلى مستوياتها العليا.

المذيع:

أي لا ننتظر أن نبحث عن الآية بل نبحث .

ميل العالم العربي والإسلامي إلى سرعة اعتقاد الأشياء و الجمود فيها :

الدكتور سلمان:

لا ننتظر أن نكتشف العلم في أمريكا، أو في أوربا، في مختبراتهم، أو في الفضاء، أو في أماكنهم، والمعلومات التي أصبحت الحقيقة انفجار هائل، وهذا جانب مهم جداً، وأنا أقول: هناك معنى لطيف ورائع وهو أن الغرب جعل كثيراً من الأشياء في كشوفه عرضة للشك، حتى النظريات التي كانت

يقينية قطعية في يوم من الأيام عندهم جاء العلم وتعداها وتجاوزها وفجر الذرة، وبدأ يعيد النظريات النسبية، عندك النسبية لأينشتاين، وغيرها، بينما في عالمنا العربي والإسلامي تميل إلى سرعة اعتقاد الأشياء، ولذلك نجمد طويلاً حتى نكتشف، يوم من الأيام سئل بعض الفقهاء عن مسألة الأجنة، هل يمكن معرفة نوع الجنين أو لا يمكن؟ قال: لا يمكن، واستدل بالقرآن الكريم:

(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)

[سورة لقمان الآية: 34]

ونزل هذا على معرفة نوع جنس الجنين ذكر أو أنثى أنه مستحيل بنص القرآن الكريم القطعي في نظرهم، جاء العلم وأثبت أن معرفة الجنين ممكنة، ممكنة في مرحلة من مراحل الحمل، فهنا طبعاً لا شك أنه من إلحاق بعض المعاني الغير صحيحة في القرآن الكريم، الذي يكشف العلم من هنا

(وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)

ليست مقصورة فقط على الجنس، وإنما هنا علم الهداية و الضلال، علم الصحة والمرض، علم الحياة والموت، كل ما يتعلق بهذا الأمر هو يعلمه سبحانه منذ البداية الأولى، بل حتى قبل أن يقع يعلم ما سوف يقع في الرحم.

فأقول: ربما يكون من الجميل ونحن نتكلم عن التخصص أن ندرك عدم الإغلاق في بعض المسائل وإبقائها مفتوحة، نعم يترجح هذا، ويظهر هذا، ونظن هذا، والأغلب هو هذا، لكن نجعل في بعض الأشياء الممكنة نجعل بها احتمالاً لما قد يفاجئنا به العلم من المتغيرات والكشوف.

إعجاز القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه :

الدكتور راتب:

أريد أن أعقب تعقيباً لطيفاً، النبي عليه الصلاة والسلام لم يؤثر عنه أنه شرح آية كونية مع أن في القرآن ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، مجموع الآيات، أو مجموع الموضوعات الكونية، وشيء يلفت النظر إما أنه لم يتحدث عنها بتوجيه من الله، أو باجتهاد منه، لكن الذي حدث أنه كلما تقدم العلم كشف عن جانب من هذه الآيات الكونية، وكأن هذه الآيات الكونية التي جاءت في القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه، شيء يكتشف قبل عشرين عاماً آية قرآنية تشير إليه قبل ألف وأربعمئة عام، فكأن إعجاز القرآن شهادة الله للبشر أنه كلامه.

بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب عدا الشمس أربع سنوات ضوئية، أريد أن أقدم للأخوة المشاهدين ما معنى أربع سنوات ضوئية، الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم يقطع في الدقيقة؟ ضرب ستين، كم يقطع في الساعة؟ ضرب ستين، كم يقطع في اليوم؟ ضرب أربع وعشرين،

كم يقطع في السنة؟ ضرب ثلاثمئة و خمسة و ستين، كم يقطع في أربع سنوات ضوئية؟ ضرب أربعة، ابنك الصغير بآلة حاسبة بدقائق يحسب كم يبتعد هذا الكوكب الذي هو أقرب كوكب إلى الأرض، وبعده عنا أربع سنوات ضوئية.

الآن لو أردنا أن نأخذ مركبة أرضية ونريد أن نمشي إليه، نحتاج إلى خمسين مليون عام لو أردنا أن نصل إلى هذا الكوكب الذي هو أقرب كوكب لنا، وأقرب نجم لنا ملتهب، هذا بعده عنا أربع سنوات ضوئية، نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل؟.

المرأة المسلسلة تبعد عنا مليوني سنة ضوئية، أحدث مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة ضوئية، الآن افتح القرآن الكريم:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

[سورة الواقعة]

أصل الدين أن نعرف الله و نتفكر في آياته :

لذلك:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

[سورة فاطر الآية: 82]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك فلم يعطك شيئاً.

أنا أرى أن معرفة الله أصل في الدين، أنت حينما تعرف الآمر ثم يأتيك الأمر تتفانى في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر كشأن بعض المسلمين اليوم تتفنن في معصية هذا الأمر، إذا عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر فتتفنن في التفلت من هذا الأمر.

لذلك أصل الدين أن نعرف الله، وألف وثلاثمئة آية في القرآن تتحدث عن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان، أية آية في القرآن لك منها موقف، آية الأمر يقتضي أن تأتمر، آية النهي تقتضي أن تنتهي، آية الجنة أو النار ينبغي أن تسعى إلى الجنة وأن تفر من النار، أية آية في القرآن لك منها موقف، ما موقفك من ألف وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون؟ إنه التفكر، والتفكر أرقى عبادة في عبادات معرفة الله عز وجل.

المذيع:

حديثك شيق دكتور ولا أريد أن أقاطعك، لكن أرجع للدكتور سلمان؛ في بعض الكتب لك التي رأيتها أنا مثل بناتي، أعتقد أن لها مناسبة ولها قصة في تأليفها.

المرأة صانعة المجد :

الدكتور سلمان:

هذه نهديها للدكتور، أنا عندي بنيات، رزقني الله تعالى بثلاث بنيات، كانوا ثلاث بنات أصبحوا أربع بنات، والصغيرة ولدت في رمضان، وأفخر بهم، حتى أسمائهم ذكرتها في مقدمة أو في الإهداء للكتاب، قلت: إلى أمي الطاهرة، أمي اسمها نورا، وإلى بناتي غادة، آسيا، نورا، وإلى زهرتي الصغيرة ريماز، أنا أصبحت جدّاً، وكانت قبل الكتاب لم تلد فألحقناها في الطبعة الجديدة.

طبعاً الحقيقة حاولت في الكتاب أن أقدم الثقافة القرآنية والنبوية للمرأة، لأنه في مجتمعاتنا العربية الثقافة المتعلقة بالمرأة فيها خليط من القيم الإسلامية الجميلة مثل العفاف، والصلة، والرحمة، وفيها بعض العادات الجاهلية التي تسللت وتسربت إلينا بحيث أن بعض الناس يستحي من ذكر اسم امرأته، أو أن يُرى يمشي معها، أو إذا مشت يريد أن تمشي خلفه، وربما يستحي أن يأكل معها، أو يداعبها، بينما في القيم الإسلامية وهدي النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقول: هناك ثورة في كثير من هذا القبيل، حتى الشباب تجد يعير بعضهم بعضاً أنا أعرف اسم أمه، أنا لا أعرف اسم أمه.

فأنا بالكويت كنت قبل شهور في مؤتمر للأوقاف عن: "المرأة صانعة المجد"، وقارنت بين نموذجين؛ النموذج الأول قصة أم سلمة رضي الله عنها لما كانت الجارية تمشطها والحديث في صحيح مسلم، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر في المسجد يقول: أيها الناس فقامت، ورمت المشط، والجارية تقول لها: اقعدي إنما يقول أيها الناس! فقالت: إليك عني، إنما أنا من الناس، هنا لاحظ كيف أن المعنى الشرعي الإسلامي أحدث ثورة في نظرة المرأة إلى نفسها ونظرة المجتمع إليها، بحيث أنها اعتبرت أنها مشمولة في الخطاب، ولذلك النساء قلن: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فنزل قول الله تعالى:

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

[سورة الأحزاب الآية: 35]

إلى آخر الآية في سورة الأحزاب، قارنت هذا في قصة روزا المرأة الأمريكية التي كانت في الباص أيام التمييز العنصري، أمريكية وهذا كان عام ألف و تسعمئة و خمسين، جاء شاب أبيض أراد منها أن تقوم فرفضت، وجاء سائق الباص وتدخلت الشرطة، وأقيمت بالقوة، وبعد أسبوع حُكم عليها من

المحكمة بغرامة، ثار السود في الولاية الأمريكية كلها ثورة لم تهدأ حتى أعلنت المحكمة الدستورية العليا المساواة بين جميع أفراد المجتمع الأمريكي في الحقوق والواجبات بغض النظر عن أي اعتبار آخر، وهي أيضاً أصبحت بطلة من الأبطال في البيت الأبيض، وكُرمت، وأخذت أعلى الأوسمة، والنياشين.

ولعل وصول أوباما إلى السلطة وهو رجل من أصل إفريقي يعود إلى تلك المواقف النبيلة.

الاحتفاظ بالروح الجميلة الإيمانية التي لقننا إياها القرآن الكريم في وضع المرأة :

فأنا قصدت أن أقول: نحن في الإسلام حصلنا على هذه الهداية الربانية من القرآن الكريم، وتلقاها الناس وتعلموها، وأحدثت هذه الثورة الثقافية الداخلية، أما هناك فلم يحدث هذا إلا من جراء مصادمات ومواجهات طويلة عريضة.

لكن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا دائماً: الآن بعيداً عن الإحالة إلى التاريخ في الواقع الحاضر هل العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية هل تحتفظ بالروح الجميلة الإيمانية التي لقننا إياها القرآن الكريم وهدي الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق في وضع المرأة؟ وضع الأم؟ وضع الأخت؟ وضع الزوجة؟ وضع البنت؟ هذا ما يحاول هذا الكتاب أن يعالجه.

المذيع:

ما بقي معي إلا دقائق بسيطة، إشارة سريعة إلى كتاب "شكراً إلى أعدائي"، كانت رسالة غريبة تشكر الأعداء.

إشارة سريعة إلى كتاب شكراً إلى أعدائي :

الدكتور سلمان:

طبعاً لا أقصد الأعداء، هم الأصدقاء لكني كما أشرت في المقدمة أن بعضهم اختاروا لأنفسهم أحياناً موقفاً، ومن طبع الحياة أن يكون ذلك، ذلك الإنسان لا يتهم نوايا الناس، في الغالب إن النوايا طيبة لكن يقع اختلاف في الرؤيا، واختلاف في الاجتهاد، أو سوء ظن مبني أحياناً على القطيعة، أو على التواصل، والذي أراه أن كل الذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى ويتوضؤون حينما يريدون أن يصلوا بين يدي الله عز وجل ويعبدونه، أن هؤلاء الناس مؤمنون مسلمون، وهم إن شاء الله في الآخرة في الجملة من الناجين، ويجب أن - وخاصة في هذا العصر هناك تحديات ضخمة- يكون بينهم بدلاً من أن

يفكروا طويلاً ويبحثوا عن عناصر التباعد والاختلاف أن يفكروا ويبحثوا عن العوامل المشتركة والتحديات، ومجالات التعاون على البر والتقوى فيما بينهم.

المذيع:

بارك الله فيك دكتور، لم يبقَ معي إلا ثوان، نختم بشعار حملتنا الدينية: بلدة طيبة ورب غفور، رسالتك الأخيرة دكتور.

العلم أساس قوام الأمة :

الدكتور راتب:

والله أنا أرى أن أساس قوام الأمة العلم، إنك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فحينما يقام مع الاحتفالات المتعلقة بالاستقلال ندوات دينية فهذه بادرة طيبة أرجو أن تستمر، وأن تتوسع أيامها، وأرجو الله سبحانه وتعالى لهذا البلد كل خير، حكومة، وشعباً، وأميراً.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية – قناة الوطن - ندوات ليالي فبراير (04) : الإعجاز العلمي في جسم الإنسان - يديرالحوارالشيخ مشاري العنزي.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-02-2011

بسم الله الرحمن الرحيم

في الإنسان آيات دالة على عظمة الله سبحانه و منها :

1 - العين :

الدكتور راتب:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

***

ذلك الإنسان!

قال تعالى:

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

[سورة التين]

بالعين هناك ماء، والماء من خصائصه أنه يتجمد في الدرجة صفر، وفي شمال الأرض الحرارة تقدر بتسع و ستين تحت الصفر، في فنلندا، وألاسكا، والقطب، وفيها بشر، فإذا كان ماء العين يتجمد بالصفر معنى ذلك أن كل من يسكن في هذه الأماكن ينبغي أن يفقد بصره، ما الذي يحصل؟ قال: أودع الله في ماء العين مادة مضادة للتجمد، يد من؟ حكمة من؟ علم من؟ قدرة من؟.

القرنية أول طبقة في العين، طبقة شفافة شفافية تامة كالبلور، مع أن كل خلية في الجسم تتغذى عن طريق الشعريات الدقيقة، فلو أن هذه الطبقة القرنية الشفافة تتغذى عن طريق الشعريات لرأينا ضمن شبكة، هذا القرنية وحدها لها نظام خاص في التغذية، الخلية الأولى تأخذ غذاءها وغذاء جارتها، وينتقل الغذاء عبر الجدار الخلوي من أجل رؤية شفافة تامة.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

[سورة البلد]

2 ـ القلب و الدماغ :

أخوتنا الكرام، في الإنسان آيات دالة على عظمة الله تفوق حدّ الخيال، كل واحد من الأخوة الحضور يتجدد كل خمس سنوات بالضبط، لأن أطول خلية عمرها خمس سنوات و هي الخلية العظمية، وأقصر خلية عمرها ساعات و هي خلايا الجلد، فأنت إنسان آخر بكل ما في هذه الكلمة من معنى إلا الدماغ والقلب، لو إنسان تبدل دماغه وسألته ماذا تعمل؟ يقول لك: كنت طبيباً، فلما تبدل دماغه فقد كل علمه، فقد ذاكرته، فقد معارفه، إذاً الدماغ لا يتبدل، والقلب لا يتبدل، أما القلب والله لثلاثين سنة فأنا لا أدري إذا كان القلب الذي قال الله عنه:

(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)

[سورة الأعراف الآية: 179]

لا أدري ما إذا كان هذا القلب هو المعني أم قلب النفس؟ فأنا كنت أقول: قلب النفس، لكن قبل سنة تقريباً ثبت أن هذا القلب المادي، العضلة الصنوبرية فيها كل المشاعر والأحاسيس متى ظهر هذا؟ عندما أجريت عمليات زرع قلب، إنسان كان يكره الموسيقى الكلاسيكية، فلما أخذ قلب إنسان آخر أصبح يحبها، كان يكره طعاماً معيناً أصبح يحبه، إنسان زُرع قلب له يتكلم كلاماً لا معنى له، فلما ذهب هذا الإنسان الذي زُرع له القلب إلى زوجة من أخذ قلبه قال: هذه الكلمة ما معناها؟ قالت: كلمة اخترعناها أنا وهو معنى نحن على ما يرام، عندي سبعون أو ثمانون قصة شيء لا يصدق، الدماغ فيه معلومات، والقلب فيه مشاعر وأحاسيس، كل أذواقك، كل مشاعرك، كل ميولك بالقلب، لكن في حلة نادرة جداً، زُرع قلب اصطناعي لإنسان، فلما زُرع قلبه لم يعرف أحفاده كلياً، انظر حكمة الله عز وجل، الدماغ لا يتبدل، والآن لو قرأت القرآن في ضوء هذه الأبحاث:

(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)

بل ثبت أن في القلب خلايا عصبية تأمر خلايا الدماغ، وهذه الخلايا قدراتها آلاف الأضعاف، فالقرآن الكريم كون ناطق، والكون قرآن صامت، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي.

3 ـ جهاز المناعة :

أخوتنا الكرام، شيء آخر: أنت عندك جيش بكل معاني هذه الكلمة، خمس فرق، أول فرقة مهمتها استطلاعية، كيف أن الجيش عنده سلاح للاستكشاف، عندنا كريات دم بيضاء إذا دخل إلى الجسم جرثوم مهمتها نقل المعلومات فقط، تذهب لهذا الجرثوم وتأخذ شيفرته الكيماوية هذه فرقة، عندنا فرقة ثانية مهمتها تصنيع السلاح، هذه بالعقد اللمفاوية، حينما تأتي بالشيفرة الكيماوية للجرثوم تصنع مصلاً

مضاداً لهذا الجرثوم، هذه المناعة، والشيء العجيب أن هذا الجهاز يتمتع بذاكرة مذهلة، إذا صنع مصل مضاد ضد جرثوم يكون هذا المصل محفوظاً بالذاكرة لو عاد هذا الجرثوم بعد سبعين سنة فوراً يعطي المصل المضاد له، ولولا المناعة لكنا في حال صعب جداً، فالفرقة الأولى استطلاع، والثانية تصنيع سلاح، والثالثة فرقة المقاتلين ـسلاح المشاةـ، وعندنا سلاح الخدمات، وعندنا فرقة متفوقة تفوقاً كبيراً هي فرقة المغاوير، هذه الفرقة تلتهم الخلايا السرطانية، فحينما تضعف يظهر مرض السرطان، هذا الجهاز جهاز المناعة المكتسب جيش بكل معاني هذه الكلمة، فرقة استطلاع، فرقة قتال، فرقة خدمات، فرقة تصنيع سلاح، فرقة مغاوير.

لذلك وجدوا إلى جانب القلب غدة اسمها التيموس، إلى عشرين سنة سابقة أجمع علماء الطب على أن هذه الغدة لا وظيفة لها إطلاقاً، ثم اكتشف أن هذه الغدة أخطر غدة على الإطلاق، هذه الغدة اسمها التيموس إلى جانب القلب تدخلها الكريات البيضاء الجاهلة بمن هو العدو ومن هو الصديق، تبقى فيها سنتين تتلقى الدروس، كُبّرت أكثر من أربعين مرة بدت كمدرج والكريات البيضاء كأنها طلاب علم تجلس، تتعلم من هو الصديق، ومن هو العدو، وهذه الكريات البيضاء سلاح المناعة المكتسب تتعلم بهذه السنتين في التيموس من هو العدو و من هو الصديق، وهذه الوجبة الأولى والأخيرة تتخرج، هذه الوجبة المتخرجة مهمتها تعليم الأجيال الصاعدة، والإنسان بعد الستين أو السبعين يضعف عنده التعليم، تنشأ حالة اسمها الخرف المناعي، من أمراضها التهاب المفاصل الرثوي، أي ينشأ حرب أهلية بالجسم، هناك جيش قوي لكن معلوماته ضعفت فصار يقاتل نفسه.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

4 ـ المشيمة و الغشاء العاقل :

بالمرأة هناك قرص لحمي اسمه الخلاص عند العوام، والأطباء يسمونه المشيمة، في المشيمة يجتمع دم الأم مع دم الجنين، والشيء البديهي إذا اجتمع دم الأم مع دم الجنين فوراً تموت الأم والجنين بمرض انحلال الدم، لكن الشيء العجيب أن دم الأم يجتمع في المشيمة مع دم الجنين ولا يختلطان، لماذا لا يختلطان؟ قال: بينهما غشاء سماه الأطباء الغشاء العاقل، دققوا الغشاء العاقل يأخذ الأوكسجين من دم الأم ويضعه في دم الجنين، ثم يأخذ السكر من دم الأم ويضعه في دم الجنين، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم ويضعه في دم الجنين، صار عند الجنين سكر، أوكسجين، أنسولين، يحترقون فيشكلون طاقة، الجنين حرارته تقدر بسبع و ثلاثين درجة، بهذه الطريقة الآن الغشاء العاقل يأخذ من دم الأم كل عوامل

المناعة فيها، ويضعها في دم الجنين، فالجنين محصن من جميع الأمراض التي أصيبت بها أمه، الغشاء العاقل عندما نقل السكر والأوكسجين من دم الأم إلى الجنين، صار هناك فضلات، الغشاء العاقل يأخذ ثاني أكسيد الكربون من دم الجنين يضعه في دم الأم، فجزء من نفس الأم هو نفس جنينها، أما الشيء الدقيق أن هذا الغشاء لِمَ سمي عاقلاً؟ قال: لأنه يأخذ حاجة الجنين بالمقادير الدقيقة جداً والمتبدلة كل ساعة، من البروتينات، والشحوم، والفيتامينات، والمعادن، وأشباه المعادن، كل أنواع التغذية يعرف كم يحتاج الجنين، وليس على وجه الأرض طبيب ولا ألف طبيب يستطيعون أن يقوموا بهذه المهمة، الغشاء العاقل له خصائص دقيقة جداً، الأم لعل زوجها فقير وهي بحاجة ماسة إلى غذاء معين ماذا تفعل؟ هذه الأم إذا احتاج الجنين إلى طعام معين تشتهيه أثناء الحمل، هذا الوحام، شهوة المرأة إلى الطعام أثناء الحمل هي حاجة الجنين.

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

* * *

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: 53]

المذيع:

جزاك الله خيراً دكتور، فضيلة الدكتور عن أوضاع المسلمين، ما نصيحتك للشعوب في إصلاح أنفسها؟ وكذلك ما نصيحتك للحكام؟

ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة :

الدكتور راتب:

الذي أراه أنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، والشيء الدقيق جداً قول الله عز وجل:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

[سورة النساء الآية: 147]

الذي أراه أن الإنسان إذا استقام على أمر ربه هناك مكافآت في الدنيا قبل الآخرة والدليل:

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

[سورة فصلت]

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر علة خيرية هذه الأمة :

حينما قال الله عز وجل عنا:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

[سورة آل عمران الآية: 110]

قرآن، نحن المعنيون بهذه الآية، ما علة هذه الخيرية.

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

[سورة آل عمران الآية: 110]

ماذا قال النبي الكريم؟ قال:

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟))

[ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبو يعلى الموصلي عن أبي أمامة]

هذه أخطر مرحلة تمر بها أمتنا، أي الذي يأكل المال الحرام يعد ذكياً، والذي يتجاوز كل الحدود والمبادئ والقيم يعد شاطراً، والمنافق يعد لبقاً، صار هناك قيم جديدة، هذه المبادئ والقيم الجديدة تتناقض مع الدين.

الله عز وجل لن يعذب المؤمنين مادامت سنة نبيه قائمة في حياتهم :

لذلك الآية الكريمة:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

[سورة الأنفال الآية: 33]

مستحيل وألف ألف ألف مستحيل أن نعذب والنبي فينا، كيف؟ سنته قائمة في حياتنا

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

لكن هذا لا يمنع أن ترفض الضيم.

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

[سورة الشورى]

وصف الله المؤمنين هكذا،

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)

لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علة خيريتنا، فإن تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقدنا خيريتنا، وعندئذٍ لا شأن لنا عند الله.

والله الذي لا إله إلا هو الإنسان يشعر أن هذه الأمة بخير، النبي الكريم يقول:

((أمتي كالمطر، يجعل الله في أوله خيراً وفي آخره خيراً))

[أخرجه الطبراني عن عمار بن ياسر]

فإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فنحن بخير، وأنا أقول: هذه الأمة اختارها الله أن يكون النبي منها- عليه أتم الصلاة والسلام- وإن شاء الله! الله عز وجل ضمن للنبي ألا تهلك هلاك استئصال، تهلك هلاك ضعف وهذا قائم، لكن إذا اصطلحنا مع الله تولى الله بعليائه أن يأخذ بيدنا وأن يرحمنا.

الجرعات المنعشة التي تفضَّل الله بها على المسلمين مؤداها أن تأخذ بيدنا إلى الله :

كلمة دقيقة جداً: مع تتالي النكبات والهزائم التي لحقت بالأمة الإسلامية بشكل عام نشأ ثقافة اسمها ثقافة اليأس، وثقافة الإحباط، وثقافة الطريق المسدود، لكن الله تفضل علينا أعطانا جرعات منعشة، هذه الجرعات كأنها تقول لنا: يا عبادي أنا موجود، والأمر بيدي، من هذه الجرعات مثلاً انهيار النظام العالمي المالي، هذا تأكيد لديننا، من هذه الجرعات انتصار قلة قليلة من المقاومين لا يملكون إلا بندقية على رابع جيش في العالم، وأول جيش في المنطقة، ولاثنين وعشرين يوماً لم يحقق الانتصار عليهم، هذه جرعة ثانية، دولة تعادي الدين في شمال سوريا عداء يفوق حدّ الخيال، هي دولة مسلمة الآن، هذه الجرعات المنعشة الثلاث كأن الله يقول لنا: يا عبادي أنا موجود، والآية الكريمة التي يقشعر منها الجلد:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة الفتح الآية: 10]

وهناك تقرير للسي أي إي، أعلنته في خطبة جمعة يؤكد أن بقاء الكيان الصهيوني لا يزيد عن خمس وعشرين سنة وقد يكون أقل من ذلك، كأن الله سبحانه وتعالى يرحمنا، فالأحداث التي تجري مؤداها أن تأخذ بيدنا إلى الله عز وجل.

المقارنة بين الأقوياء المتجبرين و المؤمنين الصادقين :

بصراحة إنسان معه ورم خبيث منتشر، سأل الطبيب ماذا آكل؟ قال له: كُلْ ما شئت، والثاني معه التهاب معدة حاد، أخضعه الطبيب لحمية صعبة جداً، أيهما أفضل؟ الذي خضع لحمية صعبة أم الذي قيل له كُلْ ما شئت؟ الآية الكريمة:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا ﴾

الأقوياء البعيدون في العالم الآخر، المتجبرون، المتغطرسون:

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)

[سورة الأنعام]

أما المؤمنون الصادقون:

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

[سورة البقرة]

فالأمر ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة.

المذيع:

لن أذهب بعيداً في الأسئلة؛ هناك سؤال يربط موضوع التفوق الدراسي وطلب العلم المعاصر وعلاقته بهذه البلدة الطيبة هل هناك علاقة؟.

الإنسان إن لم يطلب العلم هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به :

الدكتور راتب:

والله أودع الله بالإنسان قوة إدراكية، يا أخوان الجماد شيء له وزن، ويشغل حيزاً من الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، هذا الجماد، الطاولة جماد.

أما النبات فشيء له حيز، وله وزن، وله أبعاد ثلاثة لكنه يتميز على الجماد أنه ينمو.

الحيوان شيء مادي يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وله وزن، وينمو لكنه يتحرك، هذا الحيوان.

الإنسان شيء له وزن، ويشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وينمو كالنبات، كان طفلاً صار في الخامسة والسبعين، ويتحرك كبقية المخلوقات لكنه يفكر، أودع الله في الإنسان قوة إدراكية فإن لم يطلب الإنسان العلم هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به.

استمعوا إلى كلام الله:

(إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)

[سورة الفرقان]

(كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ)

[سورة المنافقون الآية: 4]

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)

[سورة الجمعة الآية: 5]

فالإنسان إذا لم يطلب العلم، ولم يبحث عن سرّ وجوده، ولا عن غاية وجوده، فقد خيريته التي ذكرها الله عز وجل، وهبط إلى مستوى لا يليق به.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً.

القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً عن إرادة:

والله لما الله عز وجل قال:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

[سورة البقرة الآية: 286]

معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى لحكمة بالغةٍ بالغة ما كلفنا شيئاً إلا ونحن قادرون على تنفيذه، لكن الشيء الذي تتوهم أنك لا تستطيع أن تفعله هو الشيء الذي لا تريد أن تفعله، الإنسان أعطاه الله طاقات كبيرة جداً.

أنا أذكر أن إنساناً من صعيد مصر، أرسل ابنه للأزهر الشريف، رجع بعد خمس سنوات معه شهادة عليا، وخطب بجامع القرية خطبة، فالأب كاد يموت من البكاء، كل من رآه يبكي توهم أنه يبكي فرحاً بابنه، والحقيقة ليست كذلك، كان يبكي أسفاً على نفسه، و في اليوم الثاني ركب حمارته -لا يوجد عنده غيرها- وتوجه من صعيد مصر إلى القاهرة، وصل القاهرة، قال لهم: أين الأزعر، من الأزعر؟ قال لهم: المكان الذي يتعلمون به، لم يعرف اسمه، قال: لا يوجد عندنا أزعر عندنا أزهر، أين هو؟ بدأ بتعلم القراءة والكتابة في الخامسة والخمسين، اسمعوا الجواب: وما مات إلا و هو شيخ الأزهر.

إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان.

إنسان دخل الجامعة فلم ينجح فترك الدراسة، و بينما هو جالس في بيته وجد نملة تصعد على الحائط فوقعت، أعادت المحاولة، عدّ محاولاتها فوجد أنها ثلاث و أربعون مرة فاستحيا من النملة وتابع دراسته.

المذيع:

هنا سائل يقول: ما هو تفسير قول الله تعالى في الحديث القدسي:

((أنا عند حسن ظن عبدي بي))

[شعب الإيمان عن أبي هريرة]

وهل إذا ظننت بشيء أناله؟ وإذا لم أناله ما تفسير ذلك؟.

الله عز وجل لا يتعامل مع التمنيات :

الدكتور راتب:

والله، المشكلة الله عز وجل على كل شيء قدير، لو كان هناك مرض متفاقم، ومرض وبيل وخبيث، و عندي مئة قصة عن شفاء الإنسان التام، أنت حينما تؤمن أن الله على كل شيء قدير عندئذٍ الله عز وجل يعطيك ما تتمنى، المشكلة الثقة بالله عز وجل، إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلّما تنقضه الأيام إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان، الدنيا تحتاج إلى صدق، الله قال:

(وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)

[سورة الإسراء الآية: 19]

أما الله عز وجل- وهذا شيء واقع- فلا يتعامل مع التمنيات.

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)

[سورة النساء الآية: 123]

لكن العوام يرتكب المعاصي والآثام ويعزوها إلى الواحد الديان، لا يوجد بيدنا شيء، هذا ترتيب سيدك، هذا كله كلام فارغ.

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)

[سورة الإنسان]

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

[سورة الأنعام الآية: 132]

هناك مفهومات غير صحيحة بين العوام، هذه المفهومات مثبطة، لا تغلب الشقي شقي والسعيد سعيد، ما هذا الكلام؟! لو كان هناك أمل في أن يتطور الإنسان ما كان الله قد بعث أنبياء ومرسلين إطلاقاً، يمكن أن تكون بأدنى درجة وإذا صدقت الله عز وجل تكون بأعلى درجة.

المذيع:

سؤال: يسأل عن تفسير قول الله عز وجل كيف ترجع الروح بعد الممات؟.

(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)

[سورة النمل الآية: 87]

الإنسان جسم يتحرك وقوة هي روحه وذات هي نفسه :

الدكتور راتب:

الإنسان يا أخوان جسم يتحرك، وقوة تمده هي الروح، وذات هي نفسه، النفس هي ذاته، هي المؤمنة، هي الكافرة، هي التقية، هي المنافقة، هي السيئة، النفس هي ذاته، والنفس لا تموت، قال تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

[سورة آل عمران الآية: 185]

تذوق الموت ولا تموت.

(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)

[سورة الزخرف]

من أنت؟ نفسك، المؤمنة، وغير المؤمنة، والتقية، والنقية، والتائبة، والعاصية، نفسك، لك وعاء هو الجسم، وعندك قوة إمداد كالكهرباء في الآلة أو البنزين في السيارة، فالروح قوة الله الممدة، وجسمك وعاء، وأنت نفس، وهذه النفس لا تفنى، خلقت لتبقى إما لجنة يدوم نعيمها أو في نار لا ينفد عذابها، لذلك قال تعالى:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[سورة الشمس]

النجاح، والفلاح، والتفوق، والعقل، هو في تزكية النفس،

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

المذيع:

هناك سؤال يقول: هل المنكرات -سواء أكانت صغاراً أم كانت كبائر - سبب من أسباب سقوط البلدة الطيبة؟.

لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار :

الدكتور راتب:

طبعاً أخواننا الكرام للتمثيل: طريق عرضه يقدر بستين متراً، وأنت راكب سيارة ما هي الصغائر؟ المقود حركته سنتيمتراً واحداً، هذا السنتيمتر إذا ثبته على اليمين واد وعلى اليسار واد، هذا السنتيمتر إن ثبته سقطت بالوادي، النبي قال:

((لا صغيرة مع الإصرار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

أما الكبيرة فحرفت المقود تسعين درجة لكن الطريق عريض تستطيع أن ترجعه إلى ما كان عليه. بدوي كان يسكن شمالي جدة، لما توسعت جدة واقتربت من أرضه ازداد سعرها، فلما نزل باعها لمكتب خبيث جداً اشتراها بربع قيمتها، وضحكوا عليه، وعمروا بناية مؤلفة من اثني عشر طابقاً، وأصحاب البناية شركاء بالمكتب التجاري، أول شريك وقع من آخر طابق فنزل ميتاً -هذه قصة واقعية- والثاني دهسته سيارة، فانتبه الثالث لذنبه، بحث عن هذا البدوي ثلاثة أشهر فعثر عليه وأعطاه ثلاثة أضعاف حصته، قال له البدوي: ترى أنت لحقت حالك.

يجب أن نلحق يا أخوان، ما دام القلب ينبض نستطيع أن نصحح كل أخطائنا.

المذيع:

قبل الختام دكتور، ماذا تختم تحت شعارنا: بلدة طيبة ورب غفور، شيء نختم فيه المحاضرة.

مع الله عز وجل لا ينفع الذكاء بل تنفع الاستقامة :

الدكتور راتب:

والله يا أخوان مع الله عز وجل لا ينفع الذكاء، بل تنفع الاستقامة، أي بلدة خضعت لمنهج الله، الدين عظيم عندها، النساء محتشمات، المكاتب شرعية، المحرمات منبوذة، هذه البلدة تسعد بحفظ الله لها.

(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً *لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)

[سورة الجن]

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)

[سورة الأعراف الآية: 96]

ولكن لا ينزل بلاء إلا بذنب،

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)

البلدة الطيبة فيها استقامة، الحصانة بالاستقامة، من دون حصانة:

(وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً)

[سورة الإسراء]

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

ندوات ليالي فبراير (01) : الشباب 1

ندوات ليالي فبراير (02) : أمراض القلوب 10

ندوات ليالي فبراير (03) : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم 29

ندوات ليالي فبراير (04) : الإعجاز العلمي في جسم الإنسان.. 37

الفهرس...48